اننا حين دخلنا الكنيسة كانت شبه مدمرة · وانت تعرف اننا كنا مجبرين على احتلالها : فهي موقع استراتيجي ، كما انها كانت تستعمل من قبل العدو للرماية علينا ·

جلسنا حول مائدة صغيرة ، عليها الجبنة والنبيذ وشربنا · كان الكاهن الاخر يجلس الى جانبنا ، يشرب ويأكل ، ولا يلتفت · اعتقد انه كان ينظر الينا من خلال ثنايا عينيه شبه المغمضتين نظرة كراهية وحقد ·

بدأ الاب مرسيل يخبرنا : اتيت الى لبنان ، قال ، بعد الحرب العالمية الاولى · كنت ملازما في الجيش الفرنسي · ثم تعرفت على هذا البلد واحببته · احببت فيه امران . التجارة والانفتاح على الغرب · هذا بلد مذهل وشعبه مذهل · اردت ان ابقى فبقيت · اما كيف تحولت الى راهب فتلك قصة طريفة · كنت ككل الجنود الفرنسيين ارى اننا نحمل رسالة حضارية الى شعوب الشرق المستعبدة · اتينا وكلنا احلام · نحن قادمون الى البلاد الساحرة · الى بلد لامارتين ، من اجل انقاذها من العبودية · ثم بعد المعارك التي فرض على الجيش الفرنسي خوضها في هذه البلاد ، اكتشفت ان الطريق الوحيد الى قلوب اهلها ليس السيف بل الثقافة · اذا درسوا في مدارسنا سوف يتعلمون لغتنا ، وبعد ذلك يوثقون علاقاتهم الاقتصادية بنا ، ويتعلمون الحضارة · اردت في باديء الامر ان اعمل مدرسا في احدى المدارس الكاثوليكية · ثم قادني التدريس الى الله · فانا اتيت الى الدين عن طريق الحضارة ، وليس كما يجري عادة ، تنتقل الحضارة الى بلادكم عن طريق الدين ·

طلال ينفث دخان سيجارته في الهواء ، وينظر الى الكاهن بعينيه الواسعتين نظرة شك ·لكن يا ابونا انتم لم تدخلوا الحضارة الى بلادنا · انتم مجرد مستعمرين ، تأتون بالوصايا العشر · تعطونا الوصايا وتأخذون الارض ·

ـ هذا ليس صحيحا · هكذا يتكلم الشيوعيون عادة · لا يا ابني نحن لم نأخذ شيئا · خسرنا افضل شبابنا من اجل رسالتنا الحضارية · ثم خرجنا عن طيب خاطر ·

ـ لا اعتقد انكم خرجتم عن طيب خاطر ·خرجتم مرغمين ·

ابونا مرسيل يتبرم بالنقاش الايديولوجي ·هو لا يحب الايديولوجيا · الايديولوجيا هي وسيلة هذا العصر المادي لاستجلاب الشباب · تقود حتما الى